[فصل :
كيف صلى رسول الله ﷺ صلاة الكسوف؟]

ثم بدا لي أن أجمع ممَّا صحَّ من الأحاديث المتقدمة ـ وقد انحصرت طرقها ، وتعيّنت مواطنها في كتب السنة المطهرة ـ خلاصة وافية نافعة في صلاته ﷺ للكسوف ، وما رأى فيها من العبر والآيات ، وما خطب بعدها من النصائح والعظات ؛ وأكثرها مما تقدم في تلك الأحاديث ، وسائرها مما جاء في بعض طرقها المتقدمة عند بعض مخرجيها ، لكن لم يسبق ذكرها هناك ؛ فأوردتها هنا تتميماً للفائدة ، وذكرت في الحاشية من أخرجها من أئمة الحديث الذين سبق ذكرهم .

وقد رأيت أنّ هذا الجمع والتلخيص ، واجبٌ عليّ بعد أن يسَّر الله السبيل إليه ؛ لما في ذلك من الإعانة على معرفة هذه السنة ، والعمل بها ، وإحيائها بعد أن كادت أن تُنسى حتى من أهل العلم والصلاح ! وشجَّعني على ذلك أنني ـ فيما علمت ـ لم أُسبق إليه ، فللَّه تعالى وحده الحمد والشكر ، ومنه أرجو المزيد من التوفيق والفضل .

أولاً : كسوف الشمس وفزعه ﷺ :

«ركب رسول الله ﷺ غداة يوم مات ابنه إبراهيم عليهما السلام ـ وكان يوماً شديد الحرّ ـ ، فخسفت الشمس ، فأتى رسول الله ﷺ من مركبه سريعاً[1] ـ وذلك ضحى[2] ـ ، فمرَّ رسول الله ﷺ بين ظهراني الحجر ، فخرج فزعاً ، فأخطأ[3] بدرع حتى أدرك بردائه ، فخرج يجرُّ رداءه ؛ يخشى أن تكون الساعة ، فأتى المسجد حتى انتهى إلى مصلاه الذي كان يصلِّي فيه ، وقال الناس : إنما كسفت الشمس لموت إبراهيم ![4] فبعث ﷺ منادياً ، فنادى : الصلاة جامعة ، وثاب الناس إليه ، واصطفوا وراءه[5] ، وخرجت نسوة بين ظهري الحُجَر في المسجد ، واجتمع إليهن نساء[6] ، فصلَّى رسول الله ﷺ بأصحابه :

---

(١) بيهقي .

(٢) بخاري ، أبو عوانة ، بيهقي .

(٣) مسلم في رواية .

(٤) نسائي ، مسلم .

(٥) مسلم ، نسائي .

(٦) نسائي .

ثانياً : ابتداء الصلاة :

بدأ ﷺ فكبَّر ، وكبَّر الناس[1] ، ثم افتتح القرآن ، فقرأ قراءة طويلة ، فجهر فيها[2] ، وقام قياماً طويلاً جداً نحواً من سورة ﴿البقرة﴾ ، حتى قيل : لا يركع ، وجعل أصحابه يخرُّون .

وقالت أسماء : أتيتُ عائشة ، فإذا الناس قيام ، وإذا هي تصلِّي . فقلت : ما شأن الناس يصلُّون؟ فأشارت برأسها إلى السماء ، فقلتُ : آية؟ قالت : نعم . فأطال رسول الله ﷺ القيام جداً حتى تجلاني الغَشْي ، فأخذت قربة من ماء إلى جنبي ، فجعلت أصبُّ على رأسي من الماء ، قالت : فأطال القيام حتى رأيتني أريد أن أجلس ، ثم ألْتَفِتُ إلى المرأة التي هي أكبر مني ، والمرأة التي هي أسقم مني ؛ فأقول : أنا أحقُّ أن أصبر على طول القيام منك[3] .

* الركوع الأول :

ثم ركع ﷺ مكبِّراً ، فأطال الركوع جداً ، حتى قيل : لا

(١) أحمد وبيهقي .

(٢) أبو عوانة .

(٣) تقدم نحوه ، وهذا رواية لمسلم .

يرفع ، وركع نحواً مما قام .

ثم رفع رأسه من الركوع فقال : «سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد»[1] فقام كما هو[2] ، ولم يسجد ، فأطال القيام جداً ، حتى قيل : لا يركع ، وهو دون القيام الأول ، وقرأ قراءة طويلة هي أدنى من القراءة الأولى ، وأطال ، حتى لو جاء إنسان بعدما ركع ـ لم يكن علم أنه ركع ـ ما حدّث نفسه أنه ركع من طول القيام .

* الركوع الثاني :

ثم ركع مكبِّراً ، فأطال الركوع جداً ، حتى قيل : لا يرفع ، وهو دون الركوع الأول .

ثم رفع رأسه فقال : «سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد»[3] ، فأطال القيام ، حتى قيل : لا يسجد ، ورفع يديه ، فجعل يسبح ويحمد ويهلّل ويكبّر ويدعو[4] .

---

(١) بخاري ، مسلم ، نسائي ، بيهقي .

(٢) بيهقي .

(٣) بخاري ، مسلم ، نسائي ، بيهقي .

(٤) هو من حديث عبدالرحمن بن سمرة المتقدم (ص٦٨) ، وليس فيه تعيين مكان هذا الرفع ؛ لكن المتبادر أن هذا هو محله .

* السجود الأول :

ثم كبَّر ﷺ ، فسجد سجوداً طويلاً مثل ركوعه[1] ، حتى قيل : لا يرفع ، وقالت عائشة : ما ركعت ركوعاً قط ، ولا سجدت سجوداً قط ، كان أطول منه .

ثم كبَّر[2] ، ورفع رأسه وجلس ، فأطال الجلوس ، حتى قيل : لا يسجد[3] .

* السجود الثاني :

ثم كبَّر[4] ، فسجد ، فأطال السجود ، وهو دون السجود الأول .

* الركعة الثانية :

ثم كبَّر[5] ، ورفع ، فقام قياماً طويلاً ، هو دون القيام الثاني من الركعة الأولى ، وقرأ قراءة طويلة ، وهي أدنى من القراءة في القيام الثاني .

(١ ـ ٢) نسائي .

(٣) نسائي ، بيهقي عن ابن عمرو ، وصححه الحافظ في «الفتح» (٤٣٢/٢) ، وقال : «ولم أقف في شيء من الطرق على تطويل الجلوس بين السجدتين إلا في هذا . وقد نقل الغزالي الاتفاق على ترك إطالته ! فإن أراد الاتفاق المذهبي فلا كلام ، وإلا ؛ فهو محجوج بهذه الرواية» .

(٤ ـ ٥) نسائي .

* الركوع الأول :

ثم كبَّر[1] ، فركع ، فأطال الركوع ، وهو دون الركوع الأول .

ثم كبَّر[2] ، فرفع رأسه ، فقال : «سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد» ، فأطال القيام ، وهو دون القيام الأول ، ثم قرأ قراءة طويلة ، هي أدنى من القراءة الأولى .

* الركوع الثاني :

ثم[*] رفع رأسه ، فقال : «سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد» ، فأطال القيام ، حتى قيل : لا يسجد ، ثم تأخَّر ، وتأخَّرت الصفوف خلفه حتى انتهت إلى النساء ، ثم تقدَّم ، وتقدَّمت الصفوف حتى قام في مقامه .

* [السجود الأول والثاني][**]

ثم كبَّر ، فسجد مثلما سجد في الركعة الأولى ؛ إلا أنه

(١ ـ ٢) نسائي .

(*) كذا أصل الشيخ ـ رحمه الله ـ ، ولعله سقط من قلمه قبلها : «ثم كَبَّرَ ، فركعَ ، فأطالَ الركُوعَ ، وهو دُونَ الركوعِ الأوَّلِ» . متفق عليه .

(**) ليست في أصل الشيخ رحمه الله .

أدنى منه ، وجعل يبكي في آخر سجوده وينفخ : أُفْ أُفْ ، ويقول : «ربِّ ألم تعِدْني ألا تعذبهم وأنا فيهم؟ ربِّ ألم تعِدني ألا تعذبهم وهم يستغفرون؟ ونحن نستغفرك»[1] .

* التسليم :

ثم تشهَّد[2] ، ثم سلَّم[3] ، وقد تجلَّت الشمس ، واستكمل أربع ركعات في أربع سجدات .

ثالثاً : الخطبة على المنبر :

فلما انصرف رقى المنبر[4] ، فخطب الناس ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

«أما بعد : أيها الناس ! إن أهل الجاهلية كانوا يقولون : إن الشمس والقمر لا يخسفان إلا لموت عظيم . وإنهما آيتان من آيات الله ، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ؛ ولكن يخوِّف الله به عباده ، فإذا رأيتم شيئاً من ذلك ؛ فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره ، وإلى الصدقة والعتاقة والصلاة في المساجد ؛ حتى تنجلي .

---

(١) نسائي ، والترمذي في «الشمائل» ، وأحمد .

(٢) نسائي ، بيهقي . (٣) مسلم . (٤) نسائي ، أحمد .

يا أمة محمد ! إنْ من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمَته .

يا أمة محمد ! والله ! لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً» . ثم رفع يديه فقال :

«ألا هل بلَّغت؟!

إنه عُرض عليّ كل شيء تولَجونه ، فعُرضت عليَّ الجنة ، وذلك حين رأيتموني تقدَّمت حتى قمت في مقامي ، ولقد مددتُ يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها ؛ لتنظروا إليه ، ثم بدا لي ألا أفعل ، ولو أخذته ؛ لأكلتم منه ما بقيت الدنيا[1] .

---

(١) هذا من الأدلة الكثيرة على أن الجنة مخلوقة ، وأن نعيمها مادي ؛ ففي الجنة أكل وشرب وأنهار وأشجار وفواكه مما يشتهون ؛ كما صرح به القرآن الكريم في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأُتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾ .

وإن من ضلالات القاديانية إنكارهم لهذه الحقائق الشرعية ؛ فهم لا يؤمنون بالجنة التي وصفت في القرآن والأحاديث النبوية كهذا الحديث ؛ فاسمع ما قاله نبيهم (!) غلام أحمد في «الخطاب الجليل» (ص١١٣) :

«وجماع القول أن الجنة والجحيم باعتبار تعليم الفرقان الحميد ، ليستا شيئاً =

ولقد عُرضت عليَّ النار ، وذلك حين رأيتموني تأخَّرت

= جسمانياً جديداً يأتي من الخارج ، وإنما هما في الحقيقة آثار الحياة البشرية وظلالها . أجل ؛ حق أن كلتيهما ستتمثل مجسمة ، ولكنها لا تكون في نفس الأمر إلا آثار الحالات الروحانية وأطلالها . كلا ؛ لسنا القائلين بالجنة الغناء بلفيف من الأشجار المغروسة في بقعة من الأرض غرساً جسمانياً . ولا نحن المعتقدين بجحيم وقودها أحجار من كبريت حقاً واقعاً ، بل إن الجنة والجحيم ـ طبقاً للمعتقد الإسلامي ـ : انعكاسات هذه الأعمال التي يعملها الإنسان اليوم في الحياة الدنيا» .

ونتيجة هذا : إنكار الدار الآخرة وما فيها من نعيم وجحيم حقيقيين ، ولذلك ؛ تراه يؤول ـ بل يحرّف ويعطّل ـ معاني الآيات الصريحة في ذلك ؛ فهو يقول (ص١١٨) من الكتاب المذكور :

«والمراد بقوله تعالى : ﴿يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً﴾ : أن أهل البر الحقيقي يسقون من الشراب ما يسكن من نفوسهم لواعج الحياة الدنيا ، ويبدد لها أمرار الحسرات ، وينفي عن قلوبهم الشهوات الخبيثة . . . والمراد بقوله تعالى : ﴿عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾ : أنهم شاربون يوم القيامة من النبع الذي هم يشقونه اليوم بأيديهم ، وههنا سر غامض من أسرار حقيقة الجنة ؛ فليفهم من شاء» !!

وقال (ص١٧٣) : «والمراد من هذه الآية : ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً﴾ : أن الذين يرفضون الحق ، ولا يبغون الله من صميم الفؤاد ؛ يبلوهم الله برُداء الفعل ، فيعانون جهد البلاء في بلبال الحياة الدنيا وأواسرها ؛ حتى لكأنهم يقرنون في الأصفاد ، وينهمكون في الشواغل الأرضية ، كأنما شُدّت أعناقهم بالأغلال . . .» . وعلى هذا النمط يفسّر كل ما يتعلق بحقائق =

مخافة أن يصيبني من لفحها ، فجعلت أنفخ ؛ خشية أن يغشاكم حرّها . ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ، فلم أرَ منظراً كاليوم قطّ أفظع[1] . ورأيت أكثر أهلها النساء» . قالوا : لِمَ يا رسول الله؟ قال : «لكفرِهنّ» . قيل : أيكفرن بالله؟ قال :

«يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسَنْتَ إلى إحداهنّ الدهر كلّه ، ثم رأَتْ منك شيئاً ؛ قالت : ما رأيت منك خيراً قط !!

ورأيت فيها امرأة من بني إسرائيل طويلة سوداء[2] تُعذَّب في هرة لها ربطتها ، فلم تطعمها ولم تسقها[3] ، ولم تدعها تأكل من خَشاش الأرض حتى ماتت جوعاً ، فلقد رأيتها تنهشها إذا أقبلت ، وإذا ولَّت ، تنهش أليتها .

ورأيت فيها سارق بَدَنَتي رسول الله ﷺ[4] .

ورأيت صاحب المحجن أبا ثمامة عمرو بن مالك بن لُحَي

= الآخرة في سبيل إنكارها ، وهي طريقة القرامطة الباطنية ، والغلاة من الصوفية الكائدين للإسلام ! ولكن الله لهم بالمرصاد .

(١) أبو عوانة . (٣) بخاري ، ومسلم .

(٢ و ٤) نسائي ، أحمد .

ـ وهو الذي سيب السوائب[1] ـ يجرّ قُصبه في النار ؛ كان يسرق الحاجّ ، فإن فُطِنَ له قال : إنما تعلَّق بمحجني ! وإن غُفِلَ عنه ذهب به !

وإنه قد أوحي إليَّ أنكم تفتنون في القبور كفتنة المسيح الدجال ، فيؤتى أحدكم ، فيقال : ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن ـ أو الموقن ـ فيقول : هو محمد ، هو رسول الله ، جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وأطعنا (ثلاث مرار) ، فيقال له : نم ، قد كنا نعلم أنك تؤمن به ، فنَمْ صالحاً ؛ هذا مقعدك من الجنة . فأما المنافق ـ أو المرتاب ـ (الشك فيه وفيما قبله من بعض الرواة) ؛ فيقول : لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت ! فيقال له : أجل ؛ على الشكّ عشتَ ، وعليه متَّ ؛ هذا مقعدك من النار» .

ثم أمرهم ﷺ أن يتعوَّذوا من عذاب القبر[2] .

قالت عائشة : فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يتعوَّذ من عذاب النار ، وعذاب القبر .

---

(١) مسلم ، بيهقي .

(٢) ترمذي ، نسائي ، أحمد .

وبهذا ينتهي ما أردناه من التلخيص .

و«سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك» .

دمشق ، ٩ جمادى الأولى ، سنة ١٣٧١هـ

٥ آذار ، سنة ١٩٥١ م

أبو عبد الرحمن

ناصر الدين نوح نجاتي